مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (01)، (جوان -2022)، ص 149-164
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

التفكر فلسفيا في النص الديني وأفق العيش المشترك من خلال مشروع محمد أركون

Philosophical reflection on the religious text and the horizon of coexistence in the Mohamed Arkoun project

الشريف زروخي [1]*

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 (الجزائر)،cherifz@outlook.fr

تاريخ الإرسال: 2021/09/15 **تاريخ القبول:2022/02/07**

ملخص:

نسعى من خلال هذا المقال إلى التأسيس لثقافة العيش المشترك من خلال التفكر فلسفيا في النصوص الدينية، على اعتبار التفكير في النص الديني في أفق فلسفي يمكن مجتمعاتنا المعاصرة من الخروج من ضيق العنف والتعصب والتطرف إلى أفق التسامح والاعتراف المتبادل، وهذا التأسيس يستند إلى استحضار نصوص المفكر محمد أركون الذي سعى جاهدا إلى مساءلة النصوص الدينية والبحث عن البعد الإنساني كمشترك بين كل الأديان التوحيدية، كما دعى إلى ضرورة المصالحة بين الأديان عبر الحوار لتعيش البشرية في سلام، والحوار لا يتعلق بالأديان فحسب وإنما يتعلق بضرورة اعادة النظر في ميثاق حقوق الإنسان العالمية من جهة والعلمانية الغربية في صورتها الحالية من جهة ثانية، والاشتغال فلسفيا على هذه المسائل هو سبيلنا إلى صناعة مستقبل محكوم بمبدأ الاختلاف في التفكير والاعتقاد والرؤية كحق طبيعي للجميع.

الكلمات المفتاحية: نص ديني؛ حوار؛ عيش مشترك؛ علمانية؛ عنف؛ الاختلاف.

Abstract

The aim of this article is to establish a culture of coexistence through philosophical reflection on religious texts, considering that thinking about the religious text in a philosophical horizon enables our contemporary societies to emerge from the narrowness of violence, intolerance and extremism to the horizon of tolerance and mutual recognition, and this establishment is based on evoking the texts of the thinker Arkoun Who tried to question religious texts and search for the human dimension as common to all monotheistic religions, and also called for the necessity of reconciliation between religions through dialogue so that humanity can live in the light of mutual respectKeywords

keyword; Religious text; Dialogue; Coexistence; Violence; Secularism.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة:

إن الدعوة إلى إعادة قراءة النص الديني هدفها رسم الطريق للإنسان المعاصر الذي يعيش حالة تمزق رهيبة بفعل الاستغلال المفرط للدين والاستهلاك غير العقلاني للنصوص الدينية، فكانت النتائج جد قاصية انحدر فيها الإنسان إلى العنف والعنف المضاد تحت راية الدين، فضاعت القيم الإنسانية التي كانت هدف الحداثة وفقد الأمل في العيش المشترك بسلام، ورغم كل مظاهر العدمية إلا أن **محمد أركون** آمن بمستقبل الإنسان وإمكانية التعايش عبر التفلسف في النص الديني، والتفلسف يعني اعادة تأويل النصوص الدينية في أفق مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة، لأن النصوص الدينية لها إمكانية قول الكوني، وتعني الكونية الاعتراف بالاختلاف والتنوع واحترام كل الأديان عبر خلق حوار حقيقي، فكلما تنوعت الرؤى كان التعايش ممكننا. واشترط **أركون** ضرورة تفكيك مثلث العنف والدوائر المنتجة له في كل الأنظمة الفكرية للمرور إلى الكوني، كما دعا إلى إعادة النظر في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعمل على أنسنة النصوص الدينية وكل مظاهر الحياة البشرية، وفتح حوار حقيقي بين الأديان بتفعيل علم مقارنة الأديان. كما أن العيش معا vivre ensemble مشروط بإعادة النظر في العَلمانيةLaïcité القائمة والتوجه إلى عَلمانية ثالثة يمكنها التصالح مع الدين.

الإشكالية: هل التعايش بين الثقافات والمجتمعات يمر حتما عبر التفكر فلسفيا في النصوص الدينية؟ وتندرج تحت هذا الإشكال مشكلات جزئية يمكن صياغتها كالآتي:

-هل إعادة التفكير في الدين يعني أننا نفكر في أفق كوني؟

-كيف يمكن اعادة بعث الحوار بين الأديان في أفق فلسفي؟

فرضية الدراسة:

إن اعادة التفكر فلسفيا في النصوص الدينية سبيل المجتمعات المعاصرة للخروج من ضيق العنف واللاتسامح إلى أفق التسامح والعيش المشترك في ظل الاختلاف كحق طبيعي للجميع.

منهج الدراسة:

سنعتمد المنهج التحليلي والنقدي بكونه يستجيب لطبيعة دراستنا ويمكننا من تحقيق أهداف الدراسة.

2- : الأديان بين مثلث العنف والكوني

الأديان التوحيدية في اعتقاد **أركون** قادرة على قول الكوني وتجسيده تاريخيا في صورة التسامح بين الأديان والثقافات والهويات، وهذا هو جوهر رسالتها، لكن المرور إلى الكوني مشروط بتفكيك مثلث العنف (أركون، 2011، ص، 243) وفي عملية تفكيكه لهذه الظاهرة استند أركون إلى أعمال الفرنسي **رينيه جيرار** Rene Girard(ولد عام1923) صاحب أعمال« العنف والتقديس la violence et le sacré 1972، والكذبة الرومانطيقية والحقيقة الرومانسية، Mensonge

romantique et vérité romanesque 1961، وأشياء مخبوءة منذ بداية تأسيس العالم، Des choses cachées depuis la fondation du monde 1978»، عمل فيها على تأسيس أنثروبولوجيا فلسفية مهتمة باللاهوت تكشف عن العنف الذي يسكن المقدس والذي يحول دون التسامح، إلا أنَّ الفرنسي **ميشيل سير** رد على **جيرار رينيه**، بأن العنف يسكن كل التاريخ والثقافات ويصعب فهمه، مثل جرائم النازية والفاشية والستالينية والمحرقة، إلا أن **جيرار** يعتقد بإمكانية التطهير من العنف في الديانة المسيحية والتأسيس لثقافة متسامحة، وهو اعتقاد يختلط فيه التصور الفلسفي باللاهوتي وبالأنثروبولوجي، ونفس الاعتقاد نجده عند المفكر **مارسيل غوشيه** الذي يؤكد في أطروحته" بأن المسيحية هي الدين الوحيد الذي قاد تاريخيا إلى الخروج من الدين في أوروبا الغربية فقط: أي إلى تحقيق العلمانية الكاملة " (أركون ، 2009، صفحة 50)

هذه النصوص التي أوردها **أركون** وغيرها تؤكد على أن كل من يتحدث عن الدين في الحضارة الغربية لا يلتفت إلى الدين الإسلامي رغم أنه دين توحيدي وبإمكانه أن يكون مصدرا للتسامح والتعايش لما فيه من قيم إنسانية، يقول:" أقول ذلك بأسف وأنا أفكر ببول ريكور وإيمانويل ليفيناس فهما كبار المفكرين الذين تحدثا عن هذا الموضوع ولكنهم لا يذكرون الإسلام أبدا وإنما يحصرون كلامهم باليهودية والمسيحية فقط". (أركون، 2009، صفحة 50-51)ويرى **أركون** في الموقف موقفا اقصائيا يضعف اطروحاتهم في محاولتهم البرهنة على تفوق المسيحية واليهودية على باقي الأديان ومثل هذه المواقف تعطل فعل الحوار والتواصل والتسامح، ويطلق **أركون** على هذه المواقف بعنف الفلاسفة في قراءتهم للأديان التوحيدية، رغم أن **أركون** كانت له علاقة مع **ريكور** تقريبا منذ سنة 1950م يقول:" ريكور إنسان متميز ويمكن الثقة في فكره، لكنني عرفته مؤخرا مع بورديو"،(Arkoun, , La construction humaine de lislam, 2012, p. 51) وظاهرة العنف ظاهرة نجدها سائدة في كل الأديان التوحيدية وكل أنظمة المعرفة والفكر، لذلك كلها معنية بالنقد التاريخي والحفر الأركيولوجي ولا يوجد نظام إلهي منزه، وأتصور أن العنف مصدره احتكار الفهم.

لهذا عمل **أركون** على ادخال الفكر الإسلامي في دائرة المناقشات النظرية للنزعة النقدية المعاصرة، متأثرا في ذلك بنظرية الباحث الفرنسي **مايكل دوفرين**M.Dufrenne الذي نقل أعمال الأمريكيين **أ.كاردينير** A.Kardiner **ور.لينتون**R.linton في حقل الانثروبولوجيا الثقافية، مؤكدا على الطابع الجدلي عبر التاريخ، بين الوحي والحقيقة بالمعنى المطلق، هذا الطابع لا يمكن للفاعلين الاجتماعيين ملاحظته أو وعيه، لسيطرة المقدس على حياة الناس، لكن يمكن للعقل الاستطلاعي الجديد المنبثق كقل يقترحه أركون حاليا كعقل بديل لعقل الحداثة أن يفضح هذا الصراع (Arkoun, 1990, p 199) ويحدد لنا **أركون** المواقع المعرفية لنقد العقل الديني ومنها:

1- المثلث المعرفي (اللغة، التاريخ، الفكر)، أو (الوحي، التاريخ، الحقيقة).

2- المثلث اللاهوتي- الفلسفي (الإيمان، العقل، الحقيقة).

3- المثلث التأويلي (الزمن، القصص، المعنى النهائي والأخير).
4- المثلث التجريبي: يشمل (العقل، المجتمع، السلطة، السيادة العليا)،(دين، دين، دولة)، أو(دين، مجتمع، حكومة، أو سياسة).
5- المثلث الانثروبولوجي: (العنف، التقديس، الحقيقة)، وهذا ما نجده في سورة التوبة.
6- المثلث الفلسفي الانثروبولوجي:(عقلاني، لاعقلاني، خيالي، مخيال)، هذا يتناسب مع (الوحي، التاريخ، الحقيقة) ويتساءل **أركون** أين هو الفكر الإسلامي من هذه الحقول المعرفية؟

يرى **أركون** أنه كانت هناك بعض المحاولات مثل محاولة **طه حسين، سلامة موسى، علي عبد الرازق**، لكنها لم ترق إلى مستوى مدارس فكرية، بسبب سيطرة العقل الديني الذي كان ينقل المناقشات من إطارها العلمي إلى إطارها اللاهوتي والأخلاقي الشرعي، هذا ما بين (1700- 1950م)، وهي الفترة التي ازدهرت فيها الدراسات اللغوية والنقد الفيلولوجي والتاريخي. (أركون، 1979، صفحة 42) أما بعد 1945م دخل العالم الإسلامي في سيرورة تاريخية مختلفة تماما، كانت محكومة بأيديولوجية رافضة لمنجزات الليبرالية فاسحة الفضاء لسيطرة الثقافة الماركسية، وبعدها تأتي الحركات الأصولية، مما يعني أن المهمة أصبحت صعبة اليوم، إذا حاولنا نقل وتحويل المخيال الجمعي إلى مستوى النقد. لذلك ينبغي الكشف عن كيفية تداخل هذه القوى، وكيف تتفاعل في تشكيل المعنى وتوليده، وتجديد المشروعية المعتمدة في الخطاب الديني، يقول **أركون**:"بدراستنا للمثلث المفهومي" عنف، تقديس، حقيقة"، نستطيع أن نذهب بعيدا أكثر في محاولتنا للتفكير في "اللامفكر فيه" الضخم والمتراكم في الفكر الإسلامي الموروث والمعاصر." (أركون، 2001، صفحة 47) ولهذا ينبغي الكشف عن تاريخية الخطاب الديني وعلاقته بالخطاب التأريخي المسيطر والمؤسطر، وكيف تمت عملية توظيف المقدسات في الحروب لإعطائها الشرعية. (أركون و جوزاف، 2008، صفحة 84) مثل الحروب الصليبية، والفتوحات الإسلامية.

لجأ **أركون** إلى المنهج المقارن للكشف عن التوظيف اللاعقلاني للدين لتبرير الممارسات من داخل المنظومات العقدية، وحتى في عصر الحداثة وعصر الأنوار، مما يعني ضرورة تفكيك كل المنظومات المنتجة للفكر الاصولي أو المنتجة للفكر العقلاني لتحريرها من الدوغمائية، لأن الحقيقة كائن تاريخي، وبهذه الكيفية يمكن التأسيس لفكرة الكوني.(Arkoun 1984,p45) والمراجعة النقدية التي يقترحها **أركون** تشمل كل التراثات الدينية والفكرية باعتباره فكرا يتقاطع مع الفكر الإسلامي، كما يشمل الفكر البعيد عن الإسلام، مثل الفكر الصيني والهندي والبوذي، هذه الدعوة لدراسة التراث الإنساني دراسة أنتروبولوجية مهمة لأنها تفتح الأنا على المغاير المختلف عبر المنهج المقارن، يقول:" لذلك تجدني أخرج باستمرار من التراث الإسلامي لكي أقارنه بالتراثين الأقرب له أي اليهودي والمسيحي من أجل إضاءته بشكل أفضل، ولو أني بقيت منغلقا داخله لما فهمت قضاياه بشكل جيد- فالمقارنة توسع المنظور وتضيء الإشكاليات." (أركون،2009، صفحة 31) ولينجز **أركون** مهمته فكر مع الفيلسوف **نيتشه**Nietzsche موضفا النقد الجينيالوجي في عملية زحزحة الكثير من

المفاهيم والقيم التي أنتجها العقل الحداثي أو الأنوار، وصارت مهيمنة على الفضاء الثقافي في العالمين، الغربي والإسلامي.

كل الأديان في نظر **أركون** تتضمن العنف والإقصاء كما تتضمن التسامح والنزوع للكونية، يقول:" إن التعصب في كل الأديان والمسارات التاريخية هو الاقوى من المحبة والتسامح والإخاء للأسف الشديد". (أركون، 2009، صفحة 178) ولا يمكن تجاوز ظاهرة العنف المقدس بين المجتمعات إلا بتوظيف المنهج التفكيكي Déconstruction ، رغم أن المجتمعات الإسلامية لا تزال بعيدة عن منهج التفكيك فهي في مرحلة التأسيس والبناء. أين يستغل الدين في تجييش العواطف، كلما حدثت هزة عنيفة في المجتمع إلا ويتم استدعاء الماضي، هذا ما أشار إليه **جوزيف مايلا** مثلا :" أن سيد قطب قد قارن، بغية شرعنة الدعوة إلى الجهاد ضد عبد الناصر، بين أعماله وأعمال المغول الذين دمروا بغداد في القرن الثامن وسببوا سقوط الخلافة والإمبراطورية العباسية." (أركون و جوزاف، 2008، صفحة 89) كما يعود **جوزيف مايلا** في التاريخ إلى **ابن تيمية** (ت 1328)، ليؤكد مدى تأثير فتواه الشهيرة جدا التي أصدرها ضد التهديد المغولي، ودعى إلى محاربة أعداء الله وأعداء إقامة النظام الإسلامي، وفتوى ابن تيمية لا تزال سارية المفعول. وكانت هذه الدعوة تتجدد باستمرار بطرق مختلفة، فتم استخدامها ضد اتاتورك. الذي حُمِل مسؤولية انهيار الخلافة العثمانية.

ومن مظاهر العنف التوظيف السلبي لقصص القرآن في تفسير وقائع راهنة، أو في تجييش عواطف المسلمين لمواجهة الغرب وحضارته المعادية للدين المقبلة على إفلاس روحي، وكذلك الاستمرار في تضخيم التراث وتغليفه بالقداسة. مما ساهم في تضخيم المخيال الجمعي وسقوطه في التقديس هذا مايطلق عليه أركون بالانحراف،(Arkoun, 1990, p. 145) ويقدم لنا أمثلة على هذه الممارسات من قيم وعادات وسير الأولياء الصالحين التي تتحول إلى صور رمزية مثالية متعالية عن التاريخ. فهناك نكوس نحو الماضي، أو نحو الزمن التأسيسي. (أركون، 2011، صفحة 45) والارتكاز على توظيف الجانب القصصي تميز به الإسلام أكثر، نتيجة تراجع حركة الفكر التنويري التي بدأها رواد الإصلاح، الذين حاولوا تقديم قراءة حداثية للنص، لكن القراءة الجديدة ظلت في مستوى السيرة وتاريخ جمع المصحف والفتنة الكبرى وكيف انبثقت عنها الطائفية، لهذا حركة التنوير كانت جد بطيئة، ولم تواكب منجزات الحداثة في مستوى المناهج، ليستمر التوظيف السلبي للقصة في توجيه المخيال الشعبي، حتى في المجتمعات الحديثة، لا تزال الدراسات فيها حتى اليوم لم تنتقل من مستوى تاريخ القصص إلى مستوى نقد تاريخ القصص، لأن الدارسين يجهلون الرهانات المعرفية والمنهجية في عملية التحول إلى" التاريخ المكتوب بما هو علم إناسة للماض وعلم آثار (archéologie) للحياة اليومية، إذا ما استعدنا التعبيرين البرمجيين (programmatiques) **لجورج دوبي** (Georges Duby)"، (أركون و جوزاف،2008، صفحة 119) و**جورج دوبي** هو مؤسس

"تاريخ العقليات" يدعو إلى ضرورة العودة إلى العصور الغابرة واخضاعها للدراسة الأنتروبولوجية وأركيولوجيا الحياة اليومية وإعادة معايشتها من جديد. (أركون، 2009، صفحة 24)

دعا **أركون** إلى ضرورة توظيف المنهج الجينيالوجي والاركيولوجي في قراءة تاريخ القصص، متأثرا **بنيتشه وفوكو**، كما تأثر بالمستشرق **ريجيس بلاشير** (Régis Blachers)، الذي نشر كتاب في 1951م بعنوان " مشكلة محمد" «le problème de Mahomet». تميز في رأيه بدقة فقيه اللغة المستند إلى تفسير النصوص المكتوبة، فيه درس نصوص السير وقام باستبعاد كل القصص الخرافية وقصص التمجيد، واحتفظ بالعناصر القابلة للإثبات بواسطة فرضيات وأفكار شرطية، (أركون، 2011، صفحة 12) هذا هو الرهان المستقبلي في نظر أركون، وهو العودة إلى القصص وإعادة قراءتها قراءة عقلانية.

ينبغي أن تنفتح الأديان على مناهج علوم الإنسان، لأنها هي التي تضبط التوتر الطبيعي بين الحقيقة والعنف الثقافي والديني، ولا توجد ثقافة محصنة من العنف، رغم أن الإسلام يرفض عنف الحقيقة، يقول **جوزيف مايلا**:" عظمة الإسلام إنما كانت في الصيغة القرآنية القائلة بعدم إمكانية وجود إكراه في الدين، إذا كانت الحقيقة تفرض ذاتها، فلا يمكن لأحد أن يفرضها." (أركون و جوزاف،2008، صفحة 237) ولتجاوز ظاهرة العنف في النص الديني أكد **أركون** على ضرورة الممارسات الحرة للإيمان مع الانفتاح على التأويل. فنجده يؤكد في مواضع كثيرة على انطواء النص الديني على العنف مشيرا إلى سورة " التوبة" الآية(05) *قوله تعالى:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، ، والآية(29)* ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ آية السيف، وكيف تم استخدام السياسي للديني، ومن ثمة إنتاج ما يسميه المثلث الأنتربولوجي " العنف، الحقيقة، المقدس"، والمثلث الأنتروبولوجي ظل يعمل بطريقة هدامة رغم محاولات **كانط**Kant تأسيس مشروع السلام الدائم كرؤية كونية (Arkoun, 2012, p 187)

هذا مايبرر ضرورة مساءلة النص الديني في كليته مراعاة لنسقيته ولوحدته الموضوعية، والانتباه إلى التحولات التي حدثت في المجتمع عبر الزمن. باعتماد القراءة التأويلية دون الإساءة إلى إيمان المؤمن، لأن الإيمان يغذي الجانب الروحي للإنسان باستمرار، فكلما اقتربنا من النص المقدس كلما حدثت رجة فكرية وإعلامية لا تخرج عن توظيف مقولات الزندقة والكفر، ويشير **جوزيف مايلا** إلى حالة **نصر حامد أبو زيد**، قائلا:" ذلك المفسر المصري الحديث الذي أُعْلِنَ مرتدا وأجبر على نفي نفسه، بسبب تأويله الجريء للقرآن"، (أركون و جوزاف، 2008، ص246) كما يشير إلى أن الإسلام كتاريخ توفر على دراسات علمية مفيدة يقول:" أعتقد من جهة أخرى أن الإسلام يمتلك " حظا" تفسيريا كبيرا. هذا الحظ التفسيري الذي لم يقصر الإصلاحيون، ولن يقصروا

مستقبلا، في الاستفادة منه. هو أن الوحي القرآني مؤرَّخَ، ومعروف في سيرورته الزمنية، ومرتبط بأنساق من خلال مقاربته من قبل العلماء المتخصصين بذلك العلم الديني المعروف بإسم أسباب النزول." (أركون و جوزاف،2008، صفحة 247) ولا يمكن عزل النص القرآني عن السياقات التاريخية والاجتماعية للمسلم. لأن العلماء قاموا بدراسته لتحديد أسباب النزول وتعرضوا للأحاديث بالدراسة، وإن لم ترق إلى مستوى المقاربات النقدية الحديثة، خاصة إذا قارنا مستوى الدراسات في العالم العربي بالعالم الغربي والعالم المسيحي، فالإسلام لم ينخرط في التحولات التي افرزتها الثورات العلمية(Arkoun, 2004, p 270) ونظريات التحديث الاجتماعي، في حين يقول **جوزيف مايلا**:" المسيحية اهتزت أمام الأسئلة التي كان يطرحها العلم، من غاليلو إلى داروين، ووجدت نفسها، منذ القرن التاسع عشر، في مواجهة مع الأفكار الليبرالية والحديثة، وتعرضت نصوص الكتاب المقدس لـ" الاضطهاد" ما أدى بالمسيحية، في مرحلة أولى، إلى الانغلاق على نفسها، ...إلا أن الكنيسة عادت، في نهاية القرن نفسه، لتنطلق على طريق إنشاء سلطة تهتم بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية وبالرأسمالية والديمقراطية والأنظمة الشمولية والتنمية وحقوق الإنسان والسلام"، (أركون و جوزاف، 2008، صفحة 248) هذه القيم موجودة في الإسلام لأنه تأسس على حرية المعتقد.

كما كانت المقاربة التأويلية حاضرة في تاريخ الإسلام، والمناظرة دليل على قدرة الإسلام في انفتاحه على كل حقول المعرفة، لكن حدث أن تدخلت السلطة السياسية فأوقفت العملية منذ لحظة إدانة التيار العقلاني (المعتزلة) في القرن التاسع واستبداله بالأشعرية أو بالإيمانوية (Fidéisme)، وتم وضع السلطة الدينية تحت وصاية السلطة السياسية، والحقيقة قد تتحول إلى سلطة إكراهية إذا وظفتها السلطة السياسية، (أركون، 2009، صفحة 15)لكن **أركون** آمن بقدرة العقل العربي الإسلامي على التنوير من خلال تفاعل العقل الفلسفي مع النص القرآني، كما حدث في القرن الثالث والرابع الهجري، وهو تعبير عن مرحلة متقدمة من التعقيل، إلا أن أزمة الأمة بدأت مع تدخل السياسة في حقل المعرفة والفكر، فكلما تضامنت السياسة والدين والفقهاء كلما كانت الأنسنة مهددة، وكان العقل النقدي محاصرا، والموقف الفلسفي مهمشا. (أركون، 2001، صفحة 14) وبعد تحليلنا لظاهرة العنف الشرعي ينتهي **أركون** إلى التأكيد على أن السلطة السياسية عبر التاريخ هي التي كانت تمارس العنف وتنتجه، وهي عبارة قالها عالم الاجتماع الألماني **ماكس فيبر**، (Arkoun, 2004, p. 741) ومن مظاهر ممارسة العنف، تقييد حرية الفكر والتأويل والتفسير والنقد والتعليم والتأليف. ،(Arkoun, 2012, p 169) لذلك المرور إلى الكوني مشروط بتفكيك المثلث الأنثروبولوجي للعنف في كل الأديان وكل المنظومات الفكرية والثقافية.

ثانيا: مصالحة الدين مع الحداثة التنويرية وإعادة تأسيس حقوق الإنسان:

ينطلق **أركون** في مناقشة مسألة حقوق الإنسان من نص للفيلسوف الفرنسي **آلان**Alain، محاولا موضعة الفكر الإسلامي داخل فضاء أوسع، وهو الفضاء العام لتاريخ الفكر المتوسطي كله،

لأن كل الدول المدعوة إسلامية في رأيه معنية بحقوق الإنسان، فهي تتجاوز الإطار والفضاء العقائدي. مشيرا إلى أن الدول الكبرى قد مارست التهميش والإقصاء على الإسلام بنبذه كدين في كل مشاريعها، مركزين على جوانب هامشية يقول:" فإنهم تحدثوا كما في برشلونة عن شؤون البيئة والتلوث والطاقة والماء والتبادلات الاقتصادية والهجرة. ولكنهم لم يتحدثوا اطلاقا عن ذلك المشروع الكبير الذي طالما حلمنا به وأقصد به: تطبيق المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية على مجتمعات الجنوب المتوسطي وتراثاتها غير المدروسة وغير المحللة جيدا حتى الآن". (أركون، 2009، صفحة 163)

يدعو **أركون** إلى ضرورة اعادة النظر في برامج التعليم في كل الدول حتى الغربية لأنها ترتكز على النظرة العَلمانية وترفض تعليم الظاهرة الدينية، ولا تعتمد الانتروبولوجيا المقارنة بين الأديان يقول:" البرامج الغربية لا تقدم صورة موضوعية عن تراث العرب والإسلام والمسلمين ككل. والبرامج الدينية السائدة في الجهة العربية والإسلامية مليئة بالتزمت والجهل بالحضارة الأوروبية ومنجزاتها التحريرية أو التنويرية" (أركون، 2009، صفحة 163) ويصف **أركون** هذا الوضع بالجهل المؤسساتي المدعم من قبل الدول، ومن المظاهر رفض بعض الدول والمنظمات تبني مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثل «السعودية، الفاتيكان»، مما جعل الغرب في صورته العَلمانية يقف ضد الأديان التوحيدية. وهذه المواقف المتبادلة تعبر عن مأزق بشري وتمزق العلاقات وتنافر المجتمعات، لكن حدث أن تمكن مجتمع الفاتيكان من الخروج من عزلته وانغلاقه ليوقع على الإعلان وينفتح على مكتسبات الحداثة وينخرط في المناقشات الدائرة في حقل البيولوجيا وغيرها، واعتبر **أركون** هذا الانفتاح انجازا عظيما يدخل دائرة التحرر، داعيا كل الأديان إلى اتباع نفس المسار، مسار مصالحة الدين مع الحداثة التنويرية، كما دعا إلى عقد مجمع كبير لكل أديان التوحيد تحت اسم الفاتيكان الثالث وكان ذلك في 1989/12/12 وهذا بهدف تجاوز المسلمات الفقهية اللاهوتية التي تكون بمثابة المرجعية للإقصاء وذلك عبر التفكيك التاريخي، وهذه المهمة بدأها أركون منذ تأليف كتابه« نقد العقل الإسلامي بالفرنسية 1984».

ويلتقي مشروع **أركون** بأطروحات **جوليا كريستيفيا** Julia Kristeva التي تعتقد أننا نعيش زمن عودة الدين لمجتمعات الحداثة. يقول **أركون** على لسان كريستيفيا:" وقد شهدت هذه العودة في القرن العشرين حركة مزدوجة ما انفكت تخصب التجربة المعاصرة. أولها الحداثة المعيارية الضابطة التي تبلورت على يد هيرمان كوهين وشوليم وليفيناس. وثانيها الحداثة النقدية التي تبلورت على يد كافكا وبنيامين وحنة آرندت. وهي حداثة تصغي جيدا للكتاب المقدس ولكن تصغي أيضا إلى نيتشه وهيدجر والفينومينولوجيا. واليوم نلاحظ أن حداثة ثالثة أخذت ترتسم في الافق وهي التي أنتمي اليها شخصيا وأدعوها بـ"الحداثة التحليلية"". (أركون، 2009، صفحة 168) كان هذا في مقابلة مع **جوليا كريستيفيا** في مجلة أوبسر فاتور بتاريخ 2008/05/22.

لكن تعامل **أركون** مع هذا الموقف تعاملا نقديا لأن الباحثة ركزت على مسار الفكر الأوروبي دون الحديث عن مسار الفكر الإسلامي، الذي لم يتعرض لتأثير الحداثات الثلاث بطريقة إيجابية، فهناك قطيعة بين المسارين دون أن تلتفت الدراسات الاستشراقية لذلك. (Arkoun, 2004, p 714) ويحاول **أركون** فهم التفاوت الحضاري بين مجتمعات الغرب ومجتمعات الإسلام موظفا عقلانية جديدة في طور الانبثاق داخل الثقافة الأوروبية، وتعد **جوليا كريستيفيا** من المساهمين في هذا النوع من العقل أو العقلانية، لهذا طرح **أركون** مسألة حقوق الإنسان في إطار عالمي كوني متجاوزا الإطار اللاهوتي والعقائدي الإسلامي القديم المنغلق، وكذلك تجاوز التصور الاستشراقي السلبي الذي التزم الحياد الموضوعي في نقل التراث الإسلامي وترجمته دون توظيف معطيات العلوم الإنسانية، أما **أركون** فاعتمد على التصور التاريخي والأنثروبولوجي والفلسفي لموضعة مسألة القانون وحقوق الإنسان، رغم أن مسألة الحقوق في نظره أصبحت مجرد شعارات أيديولوجية توجه للإستهلاك بدل التطبيق، كما أصبحت وسيلة ضغط وابتزاز ضد الدول الفقيرة. (أركون، 2009، صفحة 173)

لا ينكر أركون مصادرة الحقوق الطبيعية في الكثير من الدول من حرية ومواطنة ومسؤولية، مما دفع ببعض الباحثين والمفكرين مثل المفكرة الفرنسية **ميراي ديلماس مارتي** الدعوة إلى بلورة قانون واسع على المستوى العالمي، وهي المهمة التي يحاول انجازها **أركون** في العالم الإسلامي والعربي رغم ادراكه للصعوبات التي يفرضها الإسلام المحافظ والسياسي أو اسلام السلطة. (Arkoun, 2014, p 90) فإذا كانت الدولة المسيحية أكثر حرية وانفتاحا فإن الدولة اليهودية أكثر تقيدا بالحركة الصهيونية التي توظف الدين لأغراض سياسية كما يوظف الإسلام لأغراض سياسية، فالأولى تتنكر لأنوار **سبينوزا**Spinoza والثانية لعقلانية **ابن رشد**، وإذا كان الاستشراق الكلاسيكي قد التزم الحياد السلبي ولم يوظف منجزات الحداثة في تحليل التراث الإسلامي، فإن الاستشراق المعاصر يركز على الحركات الأصولية والإرهاب والعنف الإسلامي، والأخطر أن الكتب التي تؤلف حول الإسلام تغذي الحقد والكره والخوف من وضد الإسلام، كما تم استبدال النصوص الدينية بنصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهي لصالح العالم المتقدم على حساب المتخلف، لأن الغرب كان سباقا في تأسيس المجتمع المدني لكن رغم هذه الإنجازات التاريخية التي أسهمت في تحرير الوضع الإنساني إلا أن هناك مشكلة تطبيق هذه القيم والمكتسبات بصفة عادلة.

ويبدأ **أركون** مسألة حقوق الإنسان من سؤال هل يمكننا التحدث عن وجود أصل إسلامي لحقوق الإنسان؟ ويقر بأن حقوق الإنسان محكومة بمبادئ ميكيافيلية لا يمكن تجاهلها داعيا المفكرين إلى محاولة قراءة حقوق الإنسان في ظل مبدأ براغماتي منطلقا من الاعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان في 1981/09/19 معتمدا جملة من المناهج في تفكيك مواد الإعلان (البنيوية، السيميائية، الانثروبولوجية)، ويصل بعد القراءة التفكيكية يصل **إلى** النتيجة التالية:"

أن تاريخ كلمة إنسان أو مفهوم كلمة إنسان مطموس تماما في الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان". (أركون، 2009، صفحة 214)

ومن الملاحظات التي سجلها أيضا، أن الإعلان لا يشير إلى المكانة القانونية للإنسان في النصوص الدينية التي تجهل مفهوم المواطن الحديث في القوانين المعاصرة التي تقر بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات بغض النظر عن انتمائهم العقائدي والسياسي والعرقي والثقافي، والإسلام في الإعلان العالمي هو:" الإسلام التقليدي ... أي الفقه، الذي أخلطوا بينه وبين الشريعة أو قانون الله بشكل تعسفي" (أركون، 2009، صفحة 215) ومن أهم النتائج التي توصل اليها **أركون** أنه لا تتوفر في الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان صفة الكونية أو العالمية، وذلك لسيطرة العقلية السنية على صياغة مواده، كما أنه ينتمي للتراث التقليدي الاستبدادي الذي يتعارض وحقوق الإنسان الشخصية، مما يعني أن هناك فرق بين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في التصور الغربي الذي يخضع لشروط اجتماعية ولغوية المكونة لشخصية الإنسان الغربي عبر التاريخ فهو يخضع للزمن التاريخي، في حين الإعلان الإسلامي يخضع لتصورات الزمن الأسطوري وهذان التصوران في صراع دائم.

3- اعادة تحديد مصادر وأسس الاخلاق في إطار الكوني:

كان الفكر الأخلاقي منذ القدم في نظر **أركون** يتغذى على مصدرين وهما: التراثات الدينية والفلسفية إلى غاية عصر الثورات العلمية(révolutions scientifiques)، أي من القرن السابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر، لكن عرفت البشرية في القرن العشرين ثورات هائلة في حقل المفاهيم المعرفية (البيولوجيا (الحياة) وما صاحبها من ظهور لجان أخلاقية وتشكلها نتيجة افرازات الثورة العلمية في بيولوجيا الحياة، فهدفت اللجان إلى إعادة بلورة الأخلاق وتأسيسها من جديد مراعية الاعتبارات الإنسانية والذات البشرية، وكان **أركون** أحد أعضاء تلك اللجان يقول:" كان لي الحظ في أنني شاركت في لجنة الاخلاق من أجل علوم الحياة كأحد أعضائها، وهي اللجنة التي تشكلت في بداية الثمانينيات في فرنسا. وكانت تركيبتها تعكس المتغيرات الهامة التي طرأت على المبادئ والتصرفات الاخلاقية في مواجهة التحديات التي تطرحها علينا المعارف الجديدة الخاصة بمكانة الذات البشرية ومصيرها." (أركون، 2011، صفحة 95)

وتم بهذه الكيفية (اللجان) تجاوز المرجعيات الدينية الرسمية للأديان الكبرى وكذلك تجاوز المرجعية الفلسفية، هذا عن العالم الغربي المتطور أما في العالم العربي الإسلامي فقد تم تأسيس بعض اللجان الأخلاقية، لكن كانت تضم في أغلبها رجال دين وفقهاء يتحدثون باسم الشرع لا باسم العلم والعقل النقدي، وقد تساءل **أركون** في ظل هذا الوضع قائلا:" أين هو الفكر الاخلاقي أو الثقافة الأخلاقية في السياقات الاسلامية المعاصرة؟" (أركون، 2011، صحة 96) ويجيب بالسلب لقد اختفى منذ عهد **ابن مسكويه** قبل ألف سنة فلم يعد يهتم بالأخلاق كعلم، ومجتمعاتنا اليوم خاضعة لسلطة الخطاب الإسلاموي الشعبوي المتزمت ولأنظمة معادية للديمقراطية، واستند

أركون على منهج الحوليات الفرنسية في عملية تفكيك عالم القيم يقول:" بعد مدرسة الحوليات أصبحنا نفهم الماضي التاريخي وندرسه بطريقة أخرى أكثر عمقا وشمولية ونضجا. يكفي أن نذكر هنا أسماء الأعلام الكبار لتلك المدرسة لكي ندرك حجمها وأهميتها: لوسيان فيفر، مارك بلوك، فيرنان بروديل، جورج دوبي، جاك لوغوف، إلخ" (أركون، 2011، صفحة 98)كما تأثر بمنهج **كلود ليفي ستروس**Claude Lévi-Strauss الانثروبولوجي، وبابستيمولوجيا **ميشيل فوكو** Michel Foucault وخاصة مجال تاريخ الطب العيادي وأنظمة الفكر، كما تأثر **برولان بارت** Roland Barthesفي النقد الأدبي، و**بغريماس**Grimas في مجال علم الدلالات السيميائية، و**لاكان**Lacan في مجال التحليل النفسي، ومختلف المدارس المتنافسة في مجال علم الالسنيات، وكانت كل هذه المرجعيات حاضرة بقوة في مشروع **ريكور** Paul Ricoeur، وبعد أن أتقن **أركون** كل هذه المناهج الحديثة توجه للتراث الإسلامي لدراسته وإعادة تأسيسه تأسيسا علميا.

تعلق هم **أركون** بمحاولة الكشف عن التراث العربي الاسلامي كشفا علميا على غرار ما حدث في التراث الغربي أو المسيحي الذي طبق مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة، أما المسألة الأخلاقية فقد تجلت في أعماله منذ أطروحته حول (مسكويه) والذي أثار الإشكالية نتيجة اهتمامه بنقد العقل الإسلامي، وقد أفرد **مسكويه** كتاب سماه (تهذيب الأخلاق)، لكن تم تحريف هذا العمل والابتعاد عنه، لذلك يعاني العالم الإسلامي من قطائع كبيرة عبر عنها **أركون** قائلا:" نقول بأن الإسلام المعاصر يعاني من قطيعتين لا قطيعة واحدة: القطيعة الأولى مع فتوحاته الفكرية السابقة، والقطيعة الثانية مع فتوحات الحداثة الأوروبية منذ القرن السادس عشر وحتى اليوم." (أركون، 2011، صفحة102) هذه القطائع كانت سبب فقر الفكر الإسلامي المعاصر بلغ درجة الجمود والعطالة التاريخية لمدة طويلة، وتعمقت الأزمة بعد عام 1945 أو بعد الاستقلال السياسي والتحرر من الاستعمار بسبب أنها لم تختار السياسات والمنهجيات التي تمكن الأمة من الخروج من دائرة الاخفاق الفكري والفشل الحضاري، واختارت بدل ذلك طريق الجمود الأيديولوجي والفوضى في العطالة الفكرية الموروثة، فبدل تبني المناهج العلمية تم تبني طرائق الاصولية الدينية العتيقة لكن ماهو مصير التفكير الاخلاقي في ظل هذه الوضعية التاريخية؟

إن نسيان المسألة الأخلاقية كان سبب الأزمات والارتجاجات التي عاشتها أوروبا في الحياة الثقافية والاقتصادية والعلمية، ونسيان الأخلاق يعني الانتصار للنزعة المادية، وقد تناول **أركون** المسألة الأخلاقية في ثلاث موضوعات وهي (الصراع بين العقل والإيمان، التحول إلى النزعة البراغماتية، الرأسمالية المتطرفة، من أخلاق مسكويه إلى الأصولية الإسلامية، القيم والمسلمات)، والصراع بين العقل والإيمان قديم يتجدد باستمرار ويتمظهر بأشكال مختلفة، واليوم نشهد عودة الدين إلى الساحة العالمية والعلاقات الديبلوماسية، فلقد تم تأسيس لجنة للشؤون الدينية بفرنسا، وهذا يتناقض وقيم العَلمانية التي أقصت الدين من السياسة، لكن هل هذا اجراء علمي أم ايديولوجي؟

الإجراء شكلي في نظر **أركون** يهدف خفظ درجة التوتر مع المسلمين في الغرب وتجنب الصدامات، وقد تم مناقشة المسألة الدينية وكيفية تعليم الظاهرة الدينية في مؤتمر (برشلونة المنعقد في عام 1995) أين اقترح **أركون** تعليم الظاهرة الدينية بطرق علمية عقلانية، ولقيت الفكرة ترحيب دول أوروبا في حين رفضتها إيران والدول المتخلفة لأسباب موضوعية ولعل:" السبب يعود إلى التفاوت التاريخي في التطور بين الضفة الشمالية للمتوسط والضفة الجنوبية، فهم شهدوا التنوير ونحن لم نشهده بعد والواقع أن الهوة بين الطرفين لا تزال سحيقة." (أركون، 2011، صفحة 107) ومن الأسباب كذلك الاستعمار وما بعده فلم تتمكن دول العالم الثالث من تحقيق التحرر الفكري فكان التخلف والتراجع والفشل غير المتوقع في كل المجالات وغاب الحس الأخلاقي وتفككت المنظومات التربوية والتعليمية، وإذا كانت أروربا قد استقلت من لحظة موت الله والدين في القرن التاسع عشر إلى لحظة الإعلان عن موت الذات على يد **ميشال فوكو** في القرن العشرين، فإن العالم يعيش لحظة عودة الدين والخضوع لسلطته خاصة في العالم الإسلامي الذي لم يتعرض الخطاب فيه للنقد الجينيالوجي الذي دشنه **نيتشه** في كتابه (جينيالوجيا الأخلاق Friedrich Nietzsche. Généalogie de la morale)، ولا تزال أعمال **نيتشه** في الأخلاق ضمن اللامفكر فيه بالنسبة للخطاب الإسلامي المعاصر، ويقوم **نيتشه** في هذا العمل بحفر أركيولوجي في الأعماق للكشف عن أصل القيم المؤسسة والعليا، ويمكننا الاستفادة من **نيتشه** في بحثه عن أصول الأشياء والقيم التي بلغت درجة التقديس، واستثمار أعماله الجريئة في التأسيس لحوار الحضارات والأديان.

ويقارب **أركون** الأخلاق مقاربة معاصرة جاعلا من علم الأخلاق علما نظريا وتطبيقيا يهدف إلى التفكير في الأسس المعيارية القيمية لكل تصرف أخلاقي. ويعود إلى الفلسفة اليونانية ويقف عند كبار الفلاسفة أمثال (**سقراط، أفلاطون، أرسطو**) لأن هؤلاء خلفوا تراثا كان له الأثر البليغ في كل الدراسات التي اهتمت بالمسألة الأخلاقية، مشيرا إلى كتاب أرسطو «رسالة في الأخلاق إلى نيقوماخوس» وهو كتاب أثر في البيئة الاوروبية والعربية الإسلامية على حد سواء، كما يندرج كتاب «تهذيب الأخلاق» لمسكويه في هذا التراث الأخلاقي الضخم لتأثره بفلاسفة اليونان، وموضوعات الأخلاق متنوعة، لكن ينبغي أن نبني الأسئلة الأساسية على الوحدة الكونية لتشمل الكل. يتجاوز هذا الشرط في نظر **أركون** أخلاق **كانط** Kant المثالية، لأن دائرة الأخلاق توسعت اليوم لتشمل (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)، مما ينبغي فتح نقاشات فلسفية حول المسائل الأخلاقية المستجدة في عصر عودة الدين في شكل عنف سياسي، يقول **أركون**:" إن هذا العنف يجبر التفكير الأخلاقي اليوم على أن يعدل من الطرق المؤدية إلى التطبيق الفعلي والكوني للمبادئ الأخلاقية المعاد صياغتها وتحديدها." (أركون، 2011، صفحة 137) فلابد من نقد العقل التشريعي أو القانوني انطلاقا من السؤال الخالد كيف يمكن أن نتصرف بشكل أخلاقي وأفضل مايكون؟

يدعو أركون إلى ضرورة اعادة بلورة علم أخلاق جديد يتناسب ومعطيات عصرنا، وهذه مهمة كل التيارات الفكرية العالمية، لكن يعاني المشروع الأخلاقي من خطاب متزمت مسكون بجهل مقدس من قبل الأصوليين السلفيين، كما يعاني من العلمانويين وليس العلمانيين المنفتحين، كما يعاني من النزعات الرافضة للإسلام وهي مايعرف بالإسلاموفوبيا islamophobie ويعاني من قوى العولمة المتطرفة، ونلحظ في ظل تنامي الحركات الأصولية في عصرنا تراجع لعلم الأخلاق، وهنا يستحضر **أركون** مقولة **بول ريكور** يقول:" انه مقتطع من نص للفيلسوف الفرنسي الكبير بول ريكور يقول فيه هذه العبارة المقتضبة: "قبل القانون الأخلاقي. هناك علم الأخلاق" ". (أركون، 2011، صفحة 142)

يرى **أركون** أن فكر **بول ريكور** يتموضع داخل فكر ما بعد الحداثة باعتباره فكر نقدي عام، في حين نحن نملك فكرا دينيا لا يزال يقاوم الحداثة ومنجزاتها، وذلك بتجييش مخيال الجماهير، ويحاول **أركون** المقارنة بين عالم الحداثة والعالم الإسلامي العربي الذي لا يزال يقاوم الحداثة ليخلص إلى أن الأول عالم ديناميكي يفعل العقل باستمرار ويقوم بمراجعات مستمرة للأخطاء وهذا ما قام به **جون رولز**John Rawls(1921-2002م) صاحب نظرية العدالة La Théorie de la justiceالذي جدد التفكير في موضوع الأخلاق والسياسة داخل سياق الليبرالية الأمريكية، في حين لا نجد مفكرين في ثقافتنا العربية والإسلامية يقومون بنفس الدور من مراجعة نقدية لتراثنا الديني والفكري. وفي ظل هذه الوضعية يدعو **أركون** إلى اعادة تأسيس علم الأخلاق استنادا إلى الدراسات التاريخية والاجتماعية والعقائدية والبراغماتية والانثروبولوجية للمبادئ والقيم المتغيرة، وبهذه المنهجية يمكن تأسيس أخلاق كونيةéthique universelle لأن حل مشكلات العصر لا تتأتى بالعودة إلى الماضي يقول **أركون**:" أنا لا أدعو للعودة إلى الماضي أو إلى الاكتفاء بمسكويه والتوحيدي، وإن كان الاطلاع عليهما وعلى سواهما من كبار المبدعين مفيدا وضروريا، ولكن مشاكل الحاضر لا تحل عن طريق الماضي" (أركون، 2011، صفحة 150)وتهدف العودة إلى الماضي الوقوف على أسباب نسيان الفكر الأخلاقي النقدي داخل السياقات الإسلامية.

إننا أمام ضرورة اعادة الاعتبار للفكر الأخلاقي من أجل مواجهة ظاهرة العنف في جميع المجتمعات المعاصرة، وهو ما دشنه الفلاسفة الكبار أين نظروا لأخلاق كونية أمثال الفرنسي (**بيار بايل** 1647-1707) والأنجليزي (**جون لوك** 1632-1704) دشنا لحظة الشك بعد (**مونتني** 1533-1592) و(**جان بودان** 1530-1596) و(**ديكارت** 1596-1650) و(**سبينوزا** 1632-1677)، ويعد **سبينوزا** فيلسوف الأخلاق المجدد الذي ابتعد بالأخلاق عن سياقها الأرسطي في كتابه (الأخلاق)، ويعد هؤلاء فلاسفة اللحظة التنويرية الأولى، ثم يأتي فلاسفة اللحظة الثانية من عمر التنوير مع فلاسفة الشك، ثم اللحظة الثالثة في عصرنا مع (**جان فرنسوا ليوتار**Jean François Lyotard) الذي فتح ورشة النقد لما بعد الحداثة، و**هابرماس يورغن** Jurgen Habermas في نقده للعقل الأداتي واقتراحه لعقل بديل (العقل التواصلي) الذي يقوم على مبدأ التذاوتيةintersubjectivité أو

الحوار المتكافئ الذي يؤدي إلى الفهم، (يورغن، 1995، صفحة 45) ويثبت أن الحداثة لا تستنفذ وإنما تبدأ من جديد، وهذا هو مسار الحداثة في أوروبا، وهناك تفاوت تاريخي زمني كبير بين العالمين، ويحمل **أركون** الأنظمة الاستبدادية مسؤولية التخلف الحضاري.(Arkoun., 1978, p 125)

يشير **أركون** إلى غياب الخطاب العلمي في الإسلام المعاصر رغم حضور كل أنواع الخطاب يقول:" كل الخطابات موجودة في الساحة العربية أو الإسلامية عن الإسلام ماعدا خطاب واحد هو: الخطاب العلمي والتاريخي والفلسفي والأنثروبولوجي عن التراث الإسلامي: هذا هو الخطاب الغائب، وغيابه موجع." (أركون، 2011، صفحة 198) وتقع مسؤولية الإشكالات الفكرية المعاشة على عاتق الأستاذ الجامعي يقول:" ينبغي العلم أن الباحث-المفكر- الأستاذ الجامعي يتحمل المسؤولية العلمية لكل هذه المشاكل، وأخرى غيرها كثيرة (...) فمشاكل التراث الإسلامي عديدة جدا وصعبة ومعقدة." (أركون، 2011، صفحة 222) ومن المسؤوليات التي تقع على عاتق الباحثين الدراسة النقدية للتراث وإشكالية التواصل مع الآخر المختلف عنا، واشكالية استيعاب المناهج الحديثة وتطبيقها على التراث الديني، ويتساءل **أركون** عن مصير الأخلاق بعد كل هذا؟ في ظل ثقافة الاستهلاك ومجتمع المعرفة وجشع السياسة وفي ظل سيطرة الرأسمالية، وفي ظل الأزمات المتكررة الاقتصادية والسياسية والفكرية، في ظل ازدراء الأخلاق يقول:" حتى الفكر، قدس الأقداس، أصبح شيئا متشيئا من جملة أشياء أخرى في عالم الصناعة والتكنولوجيا والتكنوقراط والحداثة وما بعد الحداثة. كل شيء أصبح يباع ويشترى بالفلوس، لم تعد هناك أي قيمة معنوية أو أخلاقية أو رمزية لأي شيء." (أركون، 2011، صفحة 224) في ظل هذا الوضع تلاشت القيم المعنوية والروحية ليفسح المجال للأخلاق البراغماتية في العالم الغربي، أما العالم العربي الإسلامي فيعيش أزمة مختلفة تماما أزمة عنوانها التعصب الديني والجهل المؤسس.

واستند **أركون** لبعض الدراسات الحديثة في مواجهة عنف الرأسمالية ومنتجاتها مثل دراسة الفرنسي (**لوك بولتانسكي** في كتابه «دراسة في النقد. موجز علم اجتماع التحرير» عن غاليمار2009. .Luc Boltanski. De la critique. Précis de Sociologie de l'émancipation Gd.2009)، كان هذا المفكر يمارس النقد على أعمال **بيار بورديو** Pierre Bourdieu منطلقا من رهانات علم الاجتماع الأنثروبولوجي لبورديو، ويمارس **بولتانسكي** في نظر **أركون** الفكر الاستهلاكي الذي سرعان ما يرمى وينسى على حساب الفكر الخصب، كفكر **بيار بورديو** و**بول ريكور** في فرنسا، ويهدف فكر بولتانسكي إلى تفكيك آليات الهيمنة والسلطة التي تمارسها الرأسمالية على العمال، داعيا إلى اعادة بعث الشيوعية بعد تخليصها من أخطائها وانحرافاتها السابقة، لكن أعمال بولتانسكي يرفضها **أركون** لأنها تلغي أعمال **بيار بورديو** الذي أنجز عملا ضخما عن منطقة القبائل بالجزائر وهي دراسة أنثروبولوجية سوسيولوجية ينبغي الاستفادة منها وتطويرها، وتكمن من جهة ثانية خيبة **أركون** في دعوة **بولتانسكي** إلى الشيوعية وهي دعوة لا تحل الأزمة الأخلاقية ولا تمنح فرصة لإعادة التفكر في المسألة الأخلاقية على مستوى كوني، وإعجاب **أركون** ببيار **بورديو** لاهتمامه

باستكشاف الحقل الديني من ناحية علمية وسوسيولوجية والكشف عن العنف الرمزي وكيف يمارس على ضحاياه،(Bourdieu, 1998, p. 134) كما يشير **أركون** إلى أعمال الفرنسي (**إيفان دروز** yvan Droz) و(**جان كلود لافيني**Jean Claude lavigne)، في كتابهما «الأخلاق والتنمية Ethique et développement»، الذي نشر عام (2006)، ويعتبرهما **أركون** من مناضلي أحزاب البيئة وأخلاق الإيكولوجيا. كما عملا على تحسيس الضمير الانثروبولوجي بالأخطار التي تهدد البيئة وكذلك تحسيس الضمير الإيكولوجي بالانتماء للفضاء العام العالمي، وتحسيس الضمير المدني العالمي بالمسؤولية تجاه البشر الآخرين والحث على ضرورة التضامن معهم، والإحساس بالمسؤولية اتجاه كوكب الأرض بالمحافظة على الثروات وتحسيس الضمير الأخلاقي. هذا هو التصور الذي قدمه أركون للتمكن المجتمعات المعاصرة من الخروج من ضيق العنف إلى أفق الحوار والتعايش في أفق مبادئ الاحترام المتبادل والاختلاف كحق طبيعي للجميع.

4- خاتمة:

بعد تطرقنا لسؤال التفكر فلسفيا في النصوص الدينية من خلال أطروحة محمد أركون ووقوفنا على الآليات الفكرية والمنهجية التي يقترحها لتتمكن المجتمعات المعاصرة من تقليص دوائر الخلاف ومن ثمة العيش بسلام، في أفق الاحترام المتبادل، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- إن العيش المشترك يمر عبر اعادة التفكير في النصوص الدينية في أفق فلسفي كحتمية يفرضها واقع العلاقات بين الثقافات، وهو واقع محكوم بالتنافر والخوف المستمر، لهذا صارت المقاربة الفلسفية للنصوص الدينية والتراثات البشرية أكثر من ضرورة حضارية، لأن الانفتاح على النصوص الدينية قراءة وتحليلا ونقدا بإمكانه أن يؤسس لثقافة التسامح بين الأديان.
- الحوار الحقيقي بين الأديان لا يتم عبر خطابات أيديولوجية وإنما عبر أرضية فلسفية تحترم كل الأديان وتتعامل معها بعدالة دون تفاضل.
- اعادة التفكر في الدين فلسفيا بتوظيف مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة لتجاوز التمثلات السلبية للدين التي شكلتها الدراسات الاستشراقية.
- ينبغي اعادة تحديد مصادر وأسس الاخلاق الحديثة حيث تشمل المبادئ الأرض المعمورة ولا تنحصر بدين أو شعب او دولة معينة، مما يعني ضرورة بلورة أخلاق كونية تبدأ بتربية الأجيال على احترام البيئة وتقوية علاقتنا مع الأرض ومع الكائنات الحية ومع الآخرين، ببث ثقافة الاختلاف والتنوع وثقافة حقوق الإنسان والتربية الديمقراطية، وهذه أهداف نبيلة ينبغي تفعيلها.
- مجتمعاتنا بحاجة إلى ثقافة مستنيرة بنور العقل لتنخرط في التاريخ العالمي من منطلق الابداع الذي يجعلها قادرة على تقديم رؤيتها الحضارية للعالم والإنسان والطبيعة.
- ينبغي تفعيل القيم الكونية التي تسكن تراثنا وتقديمها للبشرية التي تعاني من فقدان المعنى.
- ضرورة تفعيل قيم الحوار والتعايش والاختلاف كحق طبيعي في المنظومات التربوية.

قائمة المراجع :

أولا : المراجع باللغة العربية

1- أركون ,م .(2011) .*تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة* .éd)ط) .(1ه. صالح (.Trad ,بيروت :دار الطليعة بيروت.

2- محمد أركون. (1979). *نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي*. (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: مركز الإنماء القومي،42.

3- محمد أركون. (2001). ، *معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية*. بيروت: دار الساقي.

4- محمد أركون. (2001). *القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني* (الإصدار ط1). (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

5- محمد أركون. (2009). *نحو نقد العقل الإسلامي* (الإصدار ط1). (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

6- محمد أركون. (2011). (خاشم صالح، المترجمون) بيروت.

7- محمد أركون. (2011). *تحرير الوعي الاسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة*، (الإصدار ط1). (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

8- محمد أركون، و مايلا جوزاف. (2008). *من منهاتن إلى بغداد، ما وراء الخير والشر* (الإصدار ط1). (عقيل الشيح الحسي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقي.

9- هابرماس يورغن. (1995). *القول الفسلفي للحداثة*. (فاطمة الجيوشي، المترجمون) السورية: منشورات وزارة الثقافة.

ثانيا : المراجع باللغة الاجنبية

10-Arkoun, M. (1984.). , *pour une critique de la raison Islamique*. . paris: Maison neuve et Larousse.

11-Arkoun, M. (2004). *L'islam. Réformer ou subvertir. L'islam en France.* france: Cynthia Fleury Presses Universitaires de France.

12-Arkoun, M. (2012). , *La construction humaine de lislam.* (E. M.-l. Schlege, Éd.) paris: .Editions Albin Michel.

13-Arkoun, M. (2014). , *La pensée arabe.* france: Presses Universitaires de France.

14-Bourdieu, p. (1998). *La Domination masculine.* paris: Le Seuil coll. Liber.

15-Mohamed Arkoun. (1990). ,*lectures du coran,*. Tunis: Alif Editions de La.eénarretidéM.

16-Mohamed Arkoun., L. G. (1978). . *LIslam hier- demain.* paris: . Editions Buchet/CHASTE.